المبحث الخامس

من خصائصه ﷺ ما افترضه الله له من حقوق وواجبات على الأمة والعالمين

في نهاية هذا البحث أجد أنه من الضروري أن أشير إلى عظم حقه ﷺ على العالمين، وتعدد واجبات الأمة نحوه ﷺ؛ لأن الحقوق تتلاشى أمام حقه ﷺ، فليس لأحد من الخلق مهما كان حق إلا بعد حقه، فحقه ﷺ مقدم على حقوق الوالد والولد والناس أجمعين، بل مقدم على حق الإنسان نفسه كما في قوله ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُم حَتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ والنَّاسِ أجْمَعِيْنَ**»[1].

وهذا ليس لأحد إلا له ﷺ، وتلك هي أشد الخصائص المحمدية التي ينفرد بها ﷺ: في وجوب الإيمان به علي المكلفين أجمعين، ووجوب طاعته واتباعه، وحبه، وتوقيره، والتأدب معه على المؤمنين جميعًا، وأن الأمة إذا لم تمتثل لتلك الواجبات والخصائص لم تكن متبعة، أو تكون مقصرة في اتباعه، فضلا عن عدم اكتمال إيمانها، أو تحقيقه البتة مما يجعل الحاجة ماسة إلى معرفة تلك الحقوق والواجبات، والتي تقدم على كل حق وواجب؛ لأنها حقوق رسول الله ﷺ، وأن بعض المسلمين اليوم قد يغالون في تعاملهم مع النبي ﷺ، فيهملون حقوقه، أو يتجاوزونها، وبعضهم قد ينكر حقه لجهله به، وغياب القدوة في التعامل، لبعد العهد عن الصحابة والتابعين، مما يؤدي ذلك إلى خلل في الإيمان؛ ولذا يتناول هذا المبحث فرعين:

المطلب الأول: من خصائصه ﷺ ما افترضه الله له على العالمين.

المطلب الثاني: من خصائصه ﷺ ما افترضه الله له على الأمة.

---

[1] سبق تخريجه (ص: ١٥).

المطلب الأول:

من خصائصه ﷺ: ما افترضه الله له على العالمين.

من خصائص النبي ﷺ ما خصه الله تعالى به من وجوب الإيمان به ﷺ، وهو حق عامٌّ على كل المكلفين من الأنس والجن، والعرب والعجم منذ بعثته إلى يوم الدين[1] ؛ لأن رسالته عامة وخالدة، وأنه رسول الله للعالمين أجمعين.

وهذا يعني أمرين:

أولهما: أنه لا يتم لأحد الإيمان بالله تعالى حتى يؤمن بالله ورسوله ﷺ[2].

ثانيهما: أن من كفر بالرسول ﷺ، فهو كافر بالله تعالى، ومن كذّب الرسول ﷺ فقد كذب الله تعالى.

قال القاضي عياض: الإيمان بالنبي محمد ﷺ واجب متعين لا يتم إيمان إلا به، ولا يصح إسلام إلا معه[3]

قال السيوطى: ومن خصائصه أن الله تعالى فرض طاعته على العالم فرضًا مطلقًا لا شرط فيه ولا استثناء[4].

---

[1] «تفسير الطبري» (ج١١ ص٣٤١)، و«تفسير البيضاوي» (ج١ ص٦٥)، و«فتح القدير» (ج٢ ص٣٧٠)، و«الخصائص الكبرى» (ج٢ ص ٢٩٧)، و«مجموع الفتاوى» (ج١١ ص ٤٣١)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (ج١ ص٦٩)، و«تفسير أبي السعود» (ج٨ ص ١,٨) و«الخصائص الكبرى» (ج١ ص٦) وقال: قال الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه التعظيم والمنة في لتؤمنن به ولتنصرنه في هذه الآية من التنويه بالنبي ﷺ وتعظيم قدره العلي ما لا يخفي وفيه مع ذلك: أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون الأمر مرسلا إليهم فتكون نبوته، ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته ويكون قوله بعثت إلى الناس كافة لا يختص به الناس من زمانه إلى يوم القيامة.

[2] «الشفا» للقاضي عياض (ج٢ ص٢).

[3] «الشفا» (ج٢ ص٢).

[4] «الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٢٩٧).

واستدلوا على ذلك من القرآن والسنة :

فأما الأدلة من القرآن الكريم فآيات منها مايلي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾[١].

ولا خلاف أن رسوله في الآية هو النبي محمد ﷺ[٢].

ومن لم يجمع بين الإيمان بالله ورسوله فهو كافر، وأنه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل[٣].

ومن لم يؤمن أيها الأعراب بالله ورسوله منكم، ومن غيركم، فيصدقه على ما أخبر به ويقر بما جاء به من الحق من عند ربه، فإنا أعددنا لهم جميعًا سعيرًا من النار تستعر عليهم في جهنم إذا وردوها يوم القيامة[٤].

٢- وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً ﴾[٥].

٣- وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[١].

---

[١] سورة الفتح الآية: (١٣).

[٢] «تفسير أبي السعود» (ج٨ ص١,٨).

[٣] «تفسير البيضاوي» (ج١ ص٢,٢).

[٤] «تفسير الطبري» (ج١١ ص٣٤١).

[٥] سورة النساء آية: (٤٧).

وجه الدلالة: أن الخطاب في الآية عام؛ لأن الرسول ﷺ مبعوث إلى كافة الثقلين، فيقول الله تعالى لنبيه ورسوله ﷺ: قل يا محمد: يا أيها الناس- وهذا خطاب للأحمر، والأسود، والعربي، والعجمي: ﴿ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ أي: جميعكم، وهذا من شرفه وعظمته ﷺ أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة[٢].

فأمره سبحانه أن يقول هذا القول المقتضي لعموم رسالته إلى الناس جميعًا، لا كما كان غيره من الرسل – عليهم السلام – فإنهم كانوا يبعثون إلى قومهم خاصة.

كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾[٣] فالبرهان هو النبي محمد ﷺ، ويجب على الناس جميعًا؛ بل الإنس والجن الإيمان به ﷺ، وإلا فلا إيمان لهم.

وأما الأدلة من السنة ففيما يلي:

١- عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ، قال: «**أُمِرْتُ أنْ أقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ، وَيُؤمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُم وَأمْوَالَهُم إلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُم عَلَى اللهِ**»[٤].

ثم قال: والإيمان به ﷺ هو: تصديق نبوته، ورسالة الله له، وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله، ومطابقة تصديق القلب بذلك، وشهادة اللسان بأنه رسول الله، فإذا اجتمع التصديق به بالقلب، والنطق بالشهادة بذلك اللسان، تم الإيمان به، والتصديق له، كما ورد في الحديث نفسه

---

[١] سورة الأعراف آية: (١٥٨).

[٢] «تفسير ابن كثير» (ج٢ ص ٣٣٩)، و«تفسير البيضاوي» (ج١ ص٦٥)، و«فتح القدير» (ج٢ ص ٣٧٠).

[٣] سورة النساء آية: (١٧٤).

[٤] أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم}، رقم: (٢٥) (ج١ ص١٧)، وأخرجه مسلم في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم: (٢٢) (ج١ ص٥١).

من رواية عبد الله بن عمر ﷺ: «أمِرْتُ أنْ أقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أنْ لَا إلَـهَ إلَّـا اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ».

وقد بينه في حديث جبريل، إذ قال: أخبرني عن الإسلام، قال النبي ﷺ : «أنْ تَشْهَدَ أنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ»[1] ... وذَكَرَ أرْكَانَ الإسلام[2].

الإيمان بالرسول: هو تصديقه وطاعته واتباع شريعته[3].

فيجب على كل أحد تصديق الرسول في جميع ما أخبر به، وطاعته في جميع ما أمر به[4].

٢- عن جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِـرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِـي أَدْرَكَتْـهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَـانَ النَّبِـيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»[5].

والإيمان به يستلزم عدة أمور منها:

١- الإيمان بعموم رسالته إلى كافة الثقلين: إنسهم، وجنهم.

٢- الإيمان بكونه خاتم النبيين، ورسالته خاتمة الرسالات.

٣- الإيمان بكون رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع.

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، رقم (٥٠) (ج١ ص ٢٧)، وأخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان رقم: (٩ و١٠)، وأخرجه عن عمر ﷺ في الباب نفسه رقم (٩) (ج١ ص٣٩).

[2] «الشفا» (ج٢ ص٣)، و«سبل الهدى والرشاد» (ج١١ ص ٤٢٣).

[3] كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» (ص: ٩٢).

[4] «مجموع الفتاوى» (ج١١ ص٤٣١).

[5] سبق تخريجه (ص: ٣٠).

٤- الإيمان بأنه ﷺ قد بلغ الرسالة وأكملها، وأدى الأمانة، ونصح لأمته حتى تركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.

٥- الإيمان بعصمته ﷺ .

٦- الإيمان بما له من حقوق: كوجوب طاعته، ومحبته وتعظيمه ﷺ.

فيجب تصديق النبي ﷺ في كل ما أخبر به عن الله ﷻ، من أنباء ما قد سبق وأخبار ما سيأتي، وفيما أحل من حلال وحرّم من حرام، والإيمان بأن ذلك كله من عند الله ﷻ، لقوله تعالى:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[1].

قال شارح العقيدة الطحاوية: يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيمانًا عامًا مجملا[2].

---

[1] سورة النجم آيات (٣، و٤).

[2] «شرح العقيدة الطحاوية» (ج١ ص٦٩).